الخلاف في الصفات الثبوتية الكمالية

يتفق المسلمون جميعاً من فلاسفة ومتكلمين على اتصاف الله تعالى بصفات الكمال الثبوتية كالقدرة والعلم والإرادة والحياة والسمع والبصر التي وصف الله تعالى بها ذاته ولكنهم اختلفوا في كيفية حمل هذه الصفات على الذات على قولين هما:

الأول / إن هذه الصفات زائدة على الذات : وهو مذهب جمهور الأشاعرة والماتريدية . ومعنى قولهم هذا: إن الله تعالى سميع بصفة تسمى سميعاً وبصير بصفة تسمى بصيراً وقدير بقدرة وحي بحياة ..... وأن هذه الصفات وإن كانت أزلية وأنها قائمة بذات الله تعالى أي : ليست قائمة بذاتها وليس لها وجودٌ خارجيٌ مستقلٌ وأنها ليست غير الذات ولا عين الذات إلا أنها زائدة على الذات.

واستدلوا على رأيهم بأدلة منها :

١. إن الله تعالى قد وصف ذاته بهذه الصفات في كتابه وعلى لسان نبيه محمد (صلى الله علية وآله وصحبه)، والمفهوم في اللغة من عليم : ذات له علم ، ومن قدير : ذات له قدرة ، ولا يجوز عند أهل اللغة : عليم بلا علم فهو مستحيل كاستحالة علم بلا معلوم أو عليم بلا معلوم .

٢. لو كان العلم نفس الذات ، والقدرة نفس الذات لكان العلم نفس القدرة وكان المفهوم من العلم والقدرة أمراً واحداً وهذا واضح البطلان وهكذا في بقية الصفات.

٣. لو كان علمه عين ذاته لكان العلم – مثلاً – واجباً معبوداً صانعاً للعالم موصوفاً بالكمال.

الثاني / إن هذه الصفات هي عين الذات وليست زائدة عليها: وهو مذهب المعتزلة والفلاسفة والإمامية ، ومعنى قولهم هذا أن الله تعالى هو عالم بذاته بلا علم، وقادر بذاته بلا قدرة وسميع بالذات بلا سمع فلا صفات زائدة على الذات بل هي عين الذات .

واستدلوا على ذلك بأدلة منها :

١. إن هذه الصفات لو كانت زائدة على الذات فلا يخلو الأمر من أن تكون هذه الصفات الزائدة إما قديمة أو حادثة فعلى الأول يستلزم القول بتعدد القديم أما كون الصفات حادثة

ولا يقول به أحد .

إن القول بتعدد الصفات الزائدة على الذات يجعل من الذات محلاً للكثرة والازدواج أو التركيب .

لو أن الصفات زائدة على ذاته للزم من ذلك أن يكون كماله بأمر زائد عليه فيلزم كونه ناقصاً بحسب ذاته كاملاً بما هو زائد على ذاته .

إن من وصفه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزأه ومن جزأه فقد جهله.

وقد ردّ وفند كل من المذهبين آراء وأدلة المذهب الآخر وبقيت المسألة بين أخذ ورد أن الإمام محمد عبده نهى عن الخوض فيها لأن البحث فيها بعيد عن مقصد الشرع. مع أن هذا الخلاف بين الفرق الإسلامية ينتهي جميعاً إلى القول بوحدانية الله تعالى ه عن كل ما لا يليق به.

قد اختلف الباحثون في سبب ظهور مشكلة الصفات الإلهية فعلى أحد القولين : أن هذه لة ظهرت بتأثير أجنبي خارجي من خلال علم الكلام المسيحي وخاصة عن طريق القديس يوحنا الدمشقي ومسألة أقانيم النصارى أو من خلال الصلات الفكرية بين قة والمتكلمين وخاصة بين المعتزلة وبين الفلسفة اليونانية .

على القول الآخر أن هذه المسألة ظهرت كنتيجة حتمية للتطور الفكري داخل الإسلام ن خلال النقاش الديني الذي دار في صفوف الخوارج حول مرتكب الكبيرة الذي جرّ ث مشكلة القضاء والقدر ثم مشكلة الصفات الإلهية أو من خلال تطور المشكلة من لغوية إلى مشكلة فلسفية.

(المطلب السابع)

بيان الصفات السلبية الإلهية (صفات الجلال)

هذه الصفات لم يختلف عليها العلماء، بل يتفق الجميع على القول بها ، وهي خمس :

دم ، البقاء ، المخالفة للحوادث ، القيام بالنفس ، الوحدانية .

حق أن الصفات السلبية لا تنحصر في هذه الصفات الخمس فقط ، إذ من جملتها:

Scanned with CamScanner